



فَتْحُ الْوَعْدِ
شَرْحُ خَاتَمِ تَرْجِيٍّ بَكْرٍ بِنِ الْيُحْدَاوِيَّ
الْشَّيْخُ رَزَقُ بْنُ حَامِدٍ الْقُرَشِيُّ
- حَفْظُ اللَّهِ تَعَالَى -



بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ - صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إِلَى يَوْمِ
الدِّينِ - .

أما بعد :

معاشر الإخوة والأخوات وصلنا في هذا الكتاب " فتح الودود شرح
قصيدة أبي بكر ابن أبي داود " إلى هذا الباب وهو " باب إثبات شفاعة
رسول الله الكريم - صلى الله عليه وسلم - "
قال أبو بكر ابن أبي داود في قصيدته :

وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ
وَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ بِالْحَقِّ مُوَضَّحٌ

وفي هذا البيت بيان أن الشفاعة ثابتة بالكتاب والسنة , أما من كتاب
الله ففي قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ (1) وهذا نص في
أن الشفاعة لله جميعاً ليس لأحدٍ فيها شيء فهو - عز وجل - يؤتيها من
يشاء من عباده ، فأما متى ؟

¹ (سورة الزمر [الآية : 44] .

فتكون كما أخبر أنها لا تكون إلا بإذنه كما قال تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (2) وقال تعالى : ﴿ وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ (3) ولذلك هذين شرطين في الشفاعة ؛ الإذن منه - سبحانه وتعالى - في الشفاعة لمن شاء والرضى عن المشفوع له .

والشفاعة كما ذكر أهل العلم ستة أنواع :

أولها وأعظمها : الشفاعة في موقف القيامة ؛ في أن يأتي الله لفصل القضاء بين عبادِه وهي خاصةً لنبينا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وهي المقام المحمود الذي وعده الله - عز وجل - كما قال تعالى : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (4) ، وذلك أن الناس إذا ضاق بهم الموقف وطال المقام واشتد القلق وألجمهم العرق التمسوا الشفاعة ؛ في أن يفصل الله بينهم فيأتون آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى بن مريم وكلهم يقول نفسي نفسي إلى أن ينتهوا إلى نبينا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - فيقول : (**أَنَا لَهَا**) (5) كما جاء مفصلاً في الصحيحين وغيرهما ؛ والشفاعة في استفتاح باب الجنة وأول من يستفتح بابها نبينا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وأول من يدخلها من الأمم أمته - عليه الصلاة والسلام - وهذا ثابتٌ عند مسلم من حديث أنس - رضي الله عنه - .

^(2) سورة البقرة [الآية : 255] .

^(3) سورة النجم [الآية : 26] .

^(4) سورة الإسراء [الآية : 79] .

^(5) الراوي : أبو هريرة المحدث : ابن كثير المصدر : تفسير القرآن الجزء أو الصفحة : (1 / 362) .

ثم الشفاعة في أقوام أمر الله بهم إلى النار ألا يدخلوها فيمن دخلها من أهل التوحيد أن يخرجوا منها فيخرجون قد امتحشوا وصاروا فحمًا ، فيطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل .

ثم الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة وهذا يؤخذ من عموم حديث الشفاعة ، وهذا يؤخذ من عموم حديث الشفاعة ؛ أن الله - عز وجل - يأذن في الشفاعة برفع الدرجات أقوام من أهل الجنة .

وكذلك الشفاعة في تخفيف عذاب بعض الكفار وهذه خاصة لنبينا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - في عمه أبي طالب كما في مسلم وغيره عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذكر عنده عمه أبو طالب فقال : (لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ تَبْلُغُ كَعْبِيهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاعُهُ) (6) - نسأل الله العافية والسلامة - .

وعذاب القبر ونعيمه لاشك فيه ولا ريب لأن ذلك وارد في الكتاب والسنة ، ففي كتاب الله قول الله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (7) - اللهم يارب ثبتنا وإخواننا وأخواتنا على الحق - فإن هذا من فتنة القبر كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث البراء ابن عازب عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : (الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ : يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

⁶ (لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُجْعَلَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ تَبْلُغُ كَعْبِيهِ ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاعُهُ) الراوي : أبو سعيد الخدري المحدث

: مسلم المصدر : صحيح مسلم الجزء أو الصفحة : 210 .

⁷ (سورة إبراهيم [الآية : 27])

بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ-} (٨) ، وأما السنة فقد
تظاهرت بأن الإنسان يفتن في قبره وهي فتنةٌ قال عنها - صلى الله عليه
وآله وسلم - : (إِنَّهُ قَدْ أُوجِيَ إِلَيَّ أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ
فِتْنَةِ الدَّجَالِ) (٩)- نسأل الله العافية والسلامة - وما أعظمها من فتنة
لأن الإنسان يتلقى فيها السؤال الذي لا يمكن الجواب عليه إلى على
أساسٍ متين من العقيدة والعمل الصالح ، فالمهم أن السؤال في القبر
وعذاب القبر ونعيمه حقٌ لا ريب فيه نؤمن به كما ذكر عن النبي - صلى
الله عليه وآله وسلم - وأهل السنة أتباع النبي - صلى الله عليه وآله
وسلم - يؤمنون بذلك بدون شكٍ ولا ريب ، فالمؤمن إذا سئل في قبره
يثبته الله بالقول الثابت والقول الثابت هو التوحيد كما قال تعالى : ﴿
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ
وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (١٠) ؛ كلمة التوحيد ، فيقول المؤمن : " رَبِّيَ اللَّهُ " ؛
عندما يُقال له : " من ربك ؟ " ، ويقول إذا قيل له : " ما دينك ؟ " ؛
فيقول : " الإسلام ديني " ، ويقول كذلك : " محمد صلى الله عليه
وسلم " إذا قيل له : " من نبيك ؟ " ، وحينئذٍ يكون الجواب صواباً ،
فِينَادِي مُنَادِي مِنَ السَّمَاءِ : " أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَ
أَلْبَسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وافتحوا له باباً إلى الجنة " .

وأما المُرْتَاب فيقول : " ها ! ها ! لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً
فقلته " ؛ الشاك والمنافق وأشباههم يقولون : " ها ! ها ! لا أدري " ؛

⁸ (الراوي : البراء ابن عازب المحدث : البخاري المصدر : صحيح البخاري الجزء أو الصفحة : 4699.

⁹ (ما من شيءٍ لم أكن أريته ، إلا رأيتُهُ في مقامي هذا ، حتى الجنة والنار ، ولقد أُوجِيَ إِلَيَّ أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ ، مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ ، يُؤْتَى أَحَدُكُمْ فَيُقَالُ لَهُ : مَا عَلِمَكَ بِهَذَا الرَّجُلِ ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُؤَقِنُ ، فَيَقُولُ : هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ، فَأَجَبْنَا وَأَمَنَّا ، وَاتَّبَعْنَا ، هُوَ مُحَمَّدٌ (ثَلَاثًا) ، فَيُقَالُ لَهُ : نَمَّ صَالِحًا ، فَذَعَلْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُرْتَابُ ، فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي ، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ)

الراوي : أسماء بنت أبي بكر المحدث : الألباني المصدر : صحيح الجامع الجزء أو الصفحة : 5722

¹⁰ (سورة ابراهيم [آية : 24]

يعني لا ؛ لم يلج قلبه أي الإيمان ، وإنما كان يقول كما كان يقول الناس من غير أن يصل الإيمان إلى قلبه - والعياذ بالله - ، هذا وإن قال : " **آمنت** " ؛ فإنما هو قولٌ فقط ؛ لأنّ بعض الناس قد ينطقُ بالإيمان ، وقد يقول : آمنتُ وقد يتلو أيضًا آيات الإيمان ، ولكن عند العمل لا شيء ؛ هذا لا يستفيد من القول ، وإنما الإيمان قولٌ وعمل واعتقاد ؛ هذا هو الإيمان ، أما الذين يقولون بالألسنة ، ولا يعتقدون بالقلوب ، ولا يعملون بالجوارح ، ولا يُقيمون للدين وزنًا .

فأين الإيمان هنا ؟

وهنا ننبّه أيضًا على أمرٍ : عذاب القبر ونعيمه والسؤال في القبر وما يحدث في القبر ؛ كلّ ذلك من علم الغيب ، الذي لم يره ولن يراه أحد ، وإنما ثبت بالأدلة من الكتاب والسنة وما صحّ عن النبي - صلى الله عليه وسلّم - لا يجوز لأحد أن يتعدّى ذلك ، لا يرسم ولا يتمثيل ولا يقول غير ما ثبت في الكتاب والسنة ، وإني لأعجب من أناس يُروّجون بين الآونة والأخرى أوراقًا فيها من هذا القبيل ، وأنهم رأوا الشجاع الأقرع (وهو الثعبان الذي يأتي الميت في قبره) ، ويزعمون كذبًا وبُهتانًا أنهم رأوا ذلك ، وجعلوا له صورًا تُنشر بين الناس ، صورة الثعبان وهو مُلتفٌّ على جنازةٍ ، وإنه من المؤسف أن هذه انطلت على بعض طلاب العلم فأخذ يُجَعِّعُ بها في بعض محاضراته .

فأين القاعدة في علم الغيب عند هؤلاء ؟!

لذلك : لابدّ للمُسلم وخاصة طالب العلم أن يكون على حذرٍ في نقل الأخبار ، فلا يأتي إليه خبر أو يسمع به فينقله بدون نظر وفهم وتمحيصٍ فيقع في مثل هذه الأكذوبة وغيرها من الأكاذيب .

نعم وأقول أكذوبة ؛ لأنّ مثل هذه الأمور هي من علم الغيب الذي لم يَرَهُ أحدٌ إلّا من أطلعه الله على شيء من علم الغيب من رُسُلِهِ الكرام ، وأنبيائه العظام ، فنحن نُؤْمِنُ به كما أخبر ، لقوله تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٢٦) ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ (١١).

فهذا الذي لابدّ أن يكون على بالك أيها المسلم الطّائع ، الذي رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمّدٍ - صلى الله عليه وسلم - نبيًّا ورسولاً ، أن يكون في عقيدته على الكتاب والسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة ، وألا يأخذ دينه من كلّ من هبّ ودبّ ؛ فإن ذلك خطير على العبد ، لابد أن يتنبّه لذلك ، ولذلك مثل هذه الأمور حقيقة تحتاج إلى علم ؛ تحتاج إلى علم من الكتاب والسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة لما كان سلفنا الصالح - رضي الله عنهم ورحمهم - ؛ لما كانوا يجلسون للعلم عند العلماء ، عند أهل التوحيد ، عند أهل السنة الذين يقولون بالحق وبه يعدلون ، ظهر لنا من علمهم ومن تمسكهم ومن صلابتهم في دينهم ومن دعوتهم وصبرهم ما هو بين أيدينا الآن في الكتب نقرؤه ، فذلك حين أن نتخلف عن العلم الشرعي من الكتاب والسنة فلا تسأل أين تحط بنا الرجال في أحوال البدع والخرافات - نسأل الله العافية والسلامة - .

فلذلك " العلم العلم " ، وإذا قلنا " العلم العلم " نقصد بـ " علم الكتاب والسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة " ثم نقصد أن يكون طلب العلم من الكتاب والسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة " عند أهل السنة " ، لا على أيدي أهل البدع ، فما رأينا أحدًا جالس أهل البدع أو أخذ عنهم إلا ونكتوا فيه نكتة من الشبهات التي قد تزل به -

والعياذ بالله - إلى الوقوع في الشرك أو البدع أو غيرها من المخالفات
العقدية والتعبدية وغير ذلك .

ثم انتقل - رحمه الله - إلى أمر آخر وهو ما بوبنا له في هذه أو في هذا
المختصر : " **عقيدة أهل السنة والجماعة في عصاة المسلمين** " ، وهنا
لا بد أن نركز على هذا الأمر :

قال أبو بكر بن أبي داود في قصيدته :

ولا تكفّر أهل الصلاة وإن عصوا

فكلهم يعصي وذو العرش يصفح

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة " **عدم تكفير أهل القبلة** " ، بخلاف
المعتزلة والخوارج ومن قال بقولهم اتفقوا على أن : صاحب الكبيرة إن
مات ولم يتب منها فهو خالد مخلد في النار لا تنفعه شفاعة الشافعين ،
فقد قالوا شططا وحجروا واسعا وقالوا : " **إن فاعل الكبيرة كافر** " ولهذا
خرجوا على المسلمين واستباحوا دمائهم وأموالهم .

فالمسلم عند أهل السنة والجماعة لا يكفر بمطلق المعاصي والكبائر ؛
لأن المعاصي منها ما يكون كفرا ، وأما مطلق المعصية فلا يكون كفرا .

والفرق بين الشيء المطلق ومطلق الشيء يعني : أصل الشيء ؛
فالمؤمن الفاعل للكبيرة عنده مطلق الإيمان ، ولكن وقع في معصية ،
ولا تستطيع أن ترفع عنه الإيمان حتى ولو وقع في معصية ، وإن فعلت
ذلك فأنت وافقت المعتزلة ووافقت الخوارج في عقيدتهم ، فأصل
الإيمان موجود عندهم ، لكن كماله مفقود ؛ لكن كمال الإيمان مفقود ،

وهذا يتبين لنا من خلال تعريف أهل السنة والجماعة للإيمان ؛ أن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعات وينقص بالمعصية ، فكلما أطاع كلما زاد حتى يبلغ درجة الكمال ، فينتقل إلى درجة الإحسان ، وكلما فعل معصية نقص إيمانه حتى لم يبق منه شيء .

فالمعنى : الذي عنده أصل الإيمان ولكن حدث منه معاصٍ فلا يكفر بمجرد فعله للمعصية ، فهذا الذي يستقيم مع قول أبي بكر بن أبي داود في قصيدته .

وهذا الباب ضل فيه أقوام فأصبح فيه طرفين ووسط ؛ طرف كفر بمجرد فعل المعصية وهم الخوارج الذين يكفرون أهل المعاصي وطرف آخر قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب وهم غلاة المرجئة ؛

فقومٌ أفرطوا وقومٌ فرّطوا ووسط بين الطرفين وهم : " **أهل السنة** " وعقيدتهم : عدم التكفير لمجرد فعل المعصية ، وعدم إطلاق الإيمان أو كمال الإيمان لمن فعل معصية ، فمرتكب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة مؤمن بما معه من الإيمان ، فاسقٌ بما ارتكب من الذنوب إن لم يتب ، وهو تحت المشيئة إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له ولم يُدخله النار؛ هذه عقيدتنا في أهل المعاصي من أهل التوحيد.

ويقصد الشاعر بقوله :

فكلهم يعصي وَذُو العرش يَصْفَحُ

أي أنّ : المؤمن لا يمكن أن يسلم من الخطأ واللّم وبعض

المعاصي كما قال - صلى الله عليه وسلم - : (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ ، وَخَيْرُ
الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) (12)

فمن ذا الذي يخرج من هذا الحُكم الربّاني الذي بلغه النبي - صلى الله
عليه وسلم - ؟

من ذا الذي يخرج ؟!

من أراد أن يخرج أو يُخرج أحد من هذا الحكم فإنّما هو يسعى للمحال
، أو قد يكون زائغاً قلبه ، فجميع المعاصي ما دون الشّرك فهي تحت
المشيئة ، من شاء غفر له برحمته ، ومن شاء عذّبه عدلاً منه - جلّ في
علاه - .

فلذلك كثير من النّاس ينشغل بالأحكام على النّاس فلذلك ، لماذا لا
ننشغل في تعليم النّاس وتخليص النّاس ممّا يقعون فيه بدل أن ننشغل
في الأحكام ، ففرقُ بأنّ تنشغل في الحكم على فلان : هذا عاصي ، هذا
كافر ، هذا فاسق هذا مبتدع ، هذا هذا ، إلى أن ينفروا منك النّاس !
وتترك الدعوة إلى الله ! وتترك البيان من الكتاب والسنة للنّاس !

فلذلك أهل السنة العارفين بها ! والعارفين بما أعدّ الله - جلّ وعلا -
لأهلها ينشغلون في انقاذ النّاس في الدّعوة إلى الله - عزّ جلّ - والصبر
على الأذى فيهم ، ويصبرون على النّاس ويُعلّمونهم ، ويتخلّقون بأخلاق
الدّين في الدّعوة من أجل أن يُنقذوا النّاس من هذه الذنوب العظيمة
كبيرها وصغيرها .

(12) الراوي: أنس بن مالك ، المحدث: الألباني المصدر: صحيح الترغيب الجزء أو الصفحة : 3139

ولذلك انظر لقول الحق – تبارك وتعالى - : ﴿ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (13) ، أَمرك الله – عز وجل –
أن لا تسبّ وألا تشتم الكافر المُشرك .

فكيف بعاص مسلم مَوْحِدًا؟!

كلّ ذلك أساليب تفوت كثير من الناس ، نحن يجب علينا مثلما أننا
نؤمن بفقه الصلاة ، ونؤمن بفقه الصيام ، ونؤمن بفقه الزكاة ، ونؤمن
بفقه الحجّ ، يجب أن نؤمن بفقه الدّعوة وأنّ أركان الإسلام تحتاج إلى
دعوة ، والدّعوة تحتاج إلى تفقه فيها حتى نتعلم كيف ننشر دين الله –
عز وجل – ولا يكون الفقه في الدّعوة صحيحًا إلا إذا كان على نهج النبي
– صلى الله عليه وسلم - ؛ فيحتاج هذا إلى دراسة وممارسة نظريّة
وعملية ؛ دراسة نظريّة وأيضاً عملية، أن نُنفذ دعوة النبي – صلى الله
عليه وسلم – أن ننفذ ما جاء من الآيات في أساليب الدّعوة : ﴿ ادْعُ إِلَى
سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ ﴾
(14) تدرّج وعمل نبيل و شريف في أن تقوم بما أمرك الله به – عز
وجل – في تبليغ هذا الدّين للنّاس .

والنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – كان يغضب غضبًا شديدًا على
أولئك الذين يشتدّون على النّاس قال – عليه الصلاة والسلام - : (**إِنَّ
مِنْكُمْ مُنْفَرُونَ**) (15) ؛ يُنفّرون النّاس بأخلاقهم ، وبشدّتهم التي في غير
محلها ؛ كل هذا نَبّه إليه النبي – صلى الله عليه وسلم – ولذلك قال :

(13) سورة الأنعام [آية : 108]

(14) سورة النحل [آية : 125]

(15) قال رجلٌ : يا رسول الله، لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلانٌ، فما رأيتُ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - في موعظةٍ أشدَّ غضبًا
من يومئذٍ، فقال : (أيّها النّاسُ، إنكم مُنفَرُونَ، فمن صلى بالنّاس فلينخفّف، فإنّ فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة) .
الراوي : عقبة بن عمرو بن ثعلبة أبو مسعود ، المحدث : البخاري ، المصدر : صحيح البخاري الجزء أو الصفحة: 90

(الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، اَرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) (16)

تبسمك في وجه أخيك صدقة حتى ولو كان عنده معصية ، هذا أمر مطلوب أن نتعلمه - بارك الله فيكم - .

ثم انتقل - رحمه الله - ، إلى أمرٍ آخر وهو:

" الردّ على الخوارج "

كما بوبنا له في هذا الكتاب ، فقال - رحمه الله - أي : أبو بكر بن أبي داود

ولا تعتقد رأي الخوارج إنه

مقال لمن يهواه يردي ويفضح

سيشرع أو هذا البيت تحذير وتحذير شديد من رأي الخوارج ، والخوارج طوائف كثيرة ، وفرق متباينة في آراءها واتجاهاتها وعقائدها ولكن يجتمعون في بعض الآراء ولهم علامات يعرفون بها .

من أهم تلك العلامات : أجمعت الخوارج على إكفار **"علي بن أبي طالب"** - رضي الله رضي الله عنه وأرضاه - وهذه من العلامات الكبار.

وأیضا أجمعوا على أن : كل كبيرة كفر إلا **" النجداث "** ؛ وهذه فرقة من فرق الخوارج فإنها لا تقول ذلك .

¹⁶ الراوي : عبدالله بن عمرو ، المحدث : الألباني ، المصدر : تخريج مشكاة المصابيح الجزء أو الصفحة : 4897

وكذلك أجمعوا على أن : الله - سبحانه - يُعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً ، إلا " النَّجْدَاتُ " أصحاب " نجدة بن عامر الحنفي " من الإمامة .

وكذلك من الآراء التي عند الخوارج : خلع الطاعة للإمام الحق وإعلان عصيانه وتأليب العامة عليه .

وعلماء الفقه الإسلامي يسمون من فعل ذلك وصارت له شوكة الباغي وجمعهم بغاة.

وفرق الخوارج كثيرة جداً، ومقالاتهم كثيرة جداً ، وإن من المؤسف أن بعض الناس وبعض طلاب العلم في عصرنا الحاضر يغفلون عن آراء الخوارج ويغفلون عن اتجاهاتهم ، ولا يعرفون إلا الاسم وهو: كلمة خوارج ؛ فإذا قيل برأيهم أو فُعلَ فعلهم لا يلقون لذلك أهمية ، والويل كل الويل لمن يصف القائل بقول الخوارج أو الفاعل لفعلهم ؛ هذا خارجي أو هذا فَعَلَ فِعْلَ الخوارج هذا إن أحسنّا بهم الظن وإلا فقد بلغتهم الحجة ، وصدق الإمام أبو بكر بن أبي داود عندما قال عن رأيهم :

مقال لمن يهواه يُردّي ويفضّح

الآن كثير من الناس إلا من رحم الله ، ولا أقول من عامة الناس ، بل من طلاب العلم قد يقع في رأي الخوارج ، ويظن بعض الناس أن ليس الخوارج إلا أولئك الذين يخرجون على أهل السنة بالسيف ويقاتلونهم ، ولا يعلمون أن هناك خروج أشدّ من الخروج بالسيف ، وهو : الخروج باللسان الذي نعبّر عنه في هذا الزمان " التحريض على ولي الأمر " الذي نعبّر عنه " التحريض على ولي الأمر " فكثير من الناس - إلا من رحم

الله - خارجي في هذه المسألة سواء علم أو لم يعلم ، فيأتي في المجالس ويتكلم في ولي الأمر وما عنده من زلات وما عنده من أخطاء بين الناس ، حتى يُوغر صدور عامة الناس على ولي الأمر؛ وهذا هو عين الخروج وعين التحريض ، ولذلك هذه المسألة ضبطها النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يتركها لاجتهادات الآخرين أبدًا ، ولذلك كما صح في الحديث عند بن أبي عاصم وهو حديث عبد الله بن غنم : (مَنْ كَانَ عَنْده نَصِيحَةٌ لَدِي سُلْطَانٍ بَلَا يُبْدِيهَا عَلَانِيَةً ، بَلْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيَخْلُو بِهِ فَيُحَدِّثُهُ فَإِنْ أَطَاعَهُ فَذَاكَ ، وَإِلَّا فَقَدْ أَدَّى الَّذِي لَهُ وَالَّذِي عَلَيْهِ)

أين هذا مما يفعل كثير من الناس الآن ؟

في المجالس ، في الخطب ، في المحاضرات ، في الندوات ، في الفضائيات ، في وسائل التواصل الاجتماعي ، هكذا يتكلمون ليل نهار ويحرضون ، بل وبعض الناس لا تجده يفهم في فقه الوضوء ولا في فقه الصلاة ويتكلم في هذه المسائل بملاً فاه!

ويحرض ليل نهار على ولي أمره ، وأنت يا عبد الله قد أُمِرْتَ أَنْ تصبر ، بل وإن الصَّابر على جور الحاكم الفاجر ، يرد يوم القيامة على حوض النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كما صح في الأحاديث ، ومع هذا نحن نقول : أن بعض الناس يقع في فكر الخوارج ، وفي أفعال الخوارج ، وفي أقوال الخوارج من حيث يعلم أو من حيث لا يعلم .

وبعض الناس أيضًا هو متبني هذه الفكر تماماً لأنه خلف لسلف ، لأنه خلف لسلف من الخوارج ، اقتنع بهذا الفكر فلا يرجع عنه أبدًا ، ولذلك من اقتنع بفكر الخوارج من الصعوبة بمكان أن يرجع ، أبدًا لا يرجع إلا أن يشاء الله .

وأنتم تعلمون أن الخوارج لما ناظرهم ابن عباس ما رجع منهم إلا قليل
أربعة آلاف أو خمسة آلاف وهم كانوا وبالألاف.

فكيف بنا في هذا الزمن؟!

و قد استجد في هذا الزمن من الوسائل التي تبلغ البيوت فضلاً عن
الأماكن العامة ، تبلغ البيوت الوسائل التي تنشر فكر الخوارج
و قد تختلف المسميات ، لأن بعض الناس حتى وإن كان عنده فكر
الخوارج لا يرضى أن تقول عنه أنه خارجي .

لماذا؟؟

لأن المسميات طغت ؛ مسميات الجماعة الجماعات طغت فتغيرت
المسميات ، ولكن حين تمحّص في الصفات وفي العلامات تجد أنها
مطابقة ، كثير من الجماعات عندهم من الصفات ما يتطابق تماماً مع
الخوارج القدامى ، ولكن إذا قلت أنت خارجي ، الله أكبر ، أقام الدنيا و
لم يقعدها ،

لماذا؟

لأن كما قلت لكم أن المسميات للجماعات اختلفت ، فعندما تأتي
تقول : الإخوان المسلمين .

ألا نريد أن نكون إخوان و مسلمين؟

طبعاً ، هذا اسم جميل جداً وينطوي تحته من العظائم ما الله به عليم
من صفات جميع المخالفات ! فلذلك أنا أردد دائماً وأقول أن
الجماعات الجهمية عندهم مخالفات بلغت إلى حد الكفر ، والمعتزلة
عندهم مخالفات بلغت إلى حد الكفر، والخوارج عندهم مخالفات

بلغت إلى حد الكفر ، والمرجئة عندهم مخالفات بلغت إلى حد الكفر ،
وهكذا الشيعة ، وهكذا من التصوف ، وهكذا من الرفض ، وهكذا
وهكذا..

ثم تأتي هذه الجماعة ؛ جماعة الإخوان المسلمين فتجمع هذا الخزي
كله في هذه الجماعة ، فما من جماعة استقلت بخزي إلا ووجدته في
الإخوان المسلمين - نسأل الله العافية والسلامة - ، وأضافوا إليها أنهم
أدخلوا معهم من النصارى والرافضة والإسماعيلية ؛ الفرق التي أجمع
أهل الإسلام أنها كافرة ، بل ولا تدخل في الاثنين وسبعين فرقة ؛ لأنها
كافرة تجدها مع الإخوان المسلمين ويقولون بقولهم ؛ وهذا ليس من
عندي أنا ، بل من عندهم هم وما سطروه في كتبهم !

ليس ابتلاءً نبتليهم ؛ وإنما ما سطروه في كتبهم ، وما تلفظت به
ألسنتهم ، موجود هذا بين الناس ومع هذا كثير من الناس يدافع عن
الإخوان المسلمين !

وهذه مظلة ؛ كلمة " الإخوان المسلمين " ، وإلا تحتها من
الجماعات ما الله به عليم ، تحتها التكفيريين والهجرة ، تحتها التوقف
والتبیین ، تحتها داعش ، تحتها النصرة ، تحتها تنظيم القاعدة ، وهكذا
سيأتي من المسميات أيضًا ، سيأتي من المسميات ، ولكن نحن لا
نتعامل بالمسميات ، نحن لا نتعامل بالمسميات ؛ نحن نتعامل
بالعلامات والصفات ، فنجمع صفات الخوارج ، صفات الخوارج وهي
بين أيدينا مسطرة في الكتب ، ثم نطابقها مع علامات هذه الجماعات ،
فما تكاد تخرج عنها أبدًا ، بل أن هناك أشياء جديدة فعلوها من
المنكرات لم يفعلها الخوارج القدامى ! - نسأل الله العافية والسلامة - .

فلذلك طالب العلم لا بد أن يكون على بيّنة ، ولا ينجو من هذا والوقوع فيه إلا من وفقه الله - عز وجل - لدراسة كتب أهل السنة والجماعة ؛ فأهل السنة والجماعة - والله الحمد - قد برئت ذممهم ؛ لأنهم ورثوا لنا في المكتبة الإسلامية ما يكون خيرا لنا ؛ إن عدنا إليه ودرسناه دراسة حقيقة على أهله ننجو من هذه الجماعات المجرمة ، ننجو من فعل الخوارج ، ننجو من فعل المرجئة ، ننجو من فعل القدرية ننجو من جميع الجماعات وما وقعوا فيه ، لكن لابد أن نرجع للكتاب والسنة ، " العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم " ، يجب أن نتعلم .

أهل السنة الذي يجاهدون في بيانها والذين أنقذهم الله - عز وجل -
بماذا ؟

بالعلم ، والله - عز وجل - أوجب علينا أن نتعلم : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (17).

لذلك عندما ننظر في هذه الجماعات ، وندرس الأسباب التي أوقعتهم في هذه الخرافات وفي هذه المنكرات العظيمة العقدية والتعبدية والفكرية ، نجد أن السبب الرئيسي هو بعدهم عن العلم الحقيقي وبعدهم عن العلماء ، فتلبسوا بهذه الشبه ولكل قوم وارث ، مثل ما أن أهل السنة ورثوا هذا العلم ، وورثوا العلماء وأخذوا ينهلون من ميراث النبوة ؛ هكذا الجماعات ينهلون من طوائف من ميراث الخزي والبلاء وعلماء السوء والجماعات الضالة قديماً وحديثاً ولكل قوم وارث .

نسأل الله السلامة والعافية ، نسأل الله السلامة والعافية ، ونعوذ بالله من هذا الخزي الذي انتشر في هذا الزمان بشكل مخيف .

أكتفي بهذا القدر .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

ثم هناك بعض الأسئلة التي وردت إليّ اليوم :

السؤال الأول :

يقول السائل : جاء في الدرس الثاني " **باب إثبات رؤية الله - تعالى -** " ورؤيته - جل وعلا - في المرة الثانية خاصة بالمؤمنين فمن يدخل في الرؤية الأولى ، أرجو التوضيح - جزاكم الله خيرا - .

طبعاً ، قد قدّمت أن رؤية الله - عز وجل - يوم القيامة رؤيتين :

الأولى : في عرصات القيامة .

الأولى : في عرصات القيامة يوم الجزاء والحساب .

والثانية : عندما يدخل الناس الجنة ، وكلا يأخذ ما قسمه الله له ، فيقول الله - عز وجل - : " **إِنَّ لَكُمْ عِنْدِي شَيْءٌ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تَنْقُلْ مَوَازِينَنَا وَأَلَمْ تَغْفِرْ لَنَا أَلَمْ تَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ ؟** " إلى آخر الحديث " **فَيَتَجَلَّى** **الله - عَزَّ وَجَلَّ - لِأَهْلِ الْجَنَّةِ** " وهذا يؤخذ من قوله تعالى : ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** ﴾ (18) قال أهل العلم : " **الحسنى** " : دخول الجنة والزيادة النظر إلى الله - عز وجل - ورؤيته فهذه رؤيتين ثابتة ولله الحمد .

الرؤية الأولى في عرصات القيامة والرؤية الثانية في الجنة .

نسأل الله - عز وجل - أن لا يحرمنا وإياكم منها .

(18) سورة يونس [آية : 26]

والسؤال الثاني :

يقول السائل : أود أن أطرح سؤالاً في شرح المنظومة الحائية أخبرنا الشيخ - بارك الله فيه - أن هناك فرقة تسمى اللفظية تقول : " لفظي بالقرآن مخلوق " أود أن أعرف هل في الأصل يقولون أن القرآن كلام الله وفقط اللفظ به هو المخلوق ؟

هذه الفرقة لم يقولوا : لفظي بالقرآن مخلوق إلا هروباً من أن يقولون القرآن كلام الله ، فعمدوا إلى أن يقولوا لفظي بالقرآن مخلوق ، فلذلك أهل السنة والجماعة ومنهم الإمام أحمد ذكروا أن من قال لفظي بالقرآن مخلوق إن أراد المتلو القرآن فهو جهمي ويكفر ، وإن أراد الصوت فهذا مبتدع لأن بين المتلو وبين اللفظ معنى مشترك ، فلذلك أهل السنة يُحذِّرون من هذا ؛ فلا يأت يقول الإنسان لفظي بالقرآن مخلوق فهذا يحتمل المعنيين ، إما معنى أن القرآن مخلوق ، وإما معنى أن صوتي مخلوق فقط صوتي الذي أتلو به القرآن وهذا بدعة من البدع المنكرة ، فلذلك نحن نعلم أن أصواتنا مخلوقة ، ألسنتنا مخلوقة

لكن لماذا نخصص خلقها فقط عندما نتلو القرآن ؟!

لماذا هذا ؟!

هذا من البدع .

أما إن كان يذهب - وهذا الذي يذهبون إليه - لمّا لم يستطيعوا أن يقولون أن القرآن كلام الله جاؤوا بهذه اللفظة فقالوا : لفظي بالقرآن مخلوق وهو هروبٌ من أن يقولون أن القرآن كلام الله ، ولم يقولوا أن القرآن أصلاً كلام الله .

انتبهتم - بارك الله فيكم - هذا هو المقصود من قولهم .

والسؤال الآخر يقول :

شيخنا الفاضل أثناء إشرافنا على المنتديات صادفنا أخوات فيهن شيء من التشيع والبعض متشيعات ، فكُنَّ يتناولن على الصحابة - رضوان الله عليهم - عندها قمنا بحظرهن وطردهن مباشرة خشية أن ينفثن سمومهن.

تُرى هل هذا هو الحل مع المُخَالِف ؟ أم نفتح معهن بابًا للحوار لعلهن يهتدين ويرجعن عن فكرهن المنحرف ؟

عملا بقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : (**لَإِنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَّكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**) (19) **وما هي توجيهاتكم لنا نحن طالبات العلم ؟- جزاك الله خيرا .**

هذا السؤال في غاية من الأهمية : نحن نعلم تماما أن أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن بعدهم من أئمة الإسلام كانوا يشددون في الجلوس والسماع لأهل البدع ، يشددون تشديد عظيم جدا ؛ وما ذلك إلا أنهم أهل تجربة وأهل علم بالكتاب والسنة ، وأنهم يرون - بل وأكثرهم يرى - أن البدع خطافة ؛ تخطف الإنسان خَطْفًا ، فمن الصعوبة بمكان أن يرجع إذا خطفته البدع .

فكيف بالبدعة إذا كانت بدعة رَفُضٍ أو تَشْيِيع ؟!

فهذا يخرجهم تمامًا من دائرة أهل السنة وقد يدخله في دائرة الكفر - والعياذ بالله - ، فلذلك الجلوس الآن مع أهل البدع لم يصبح فقط مع قلة من أهل البدع ، وإنما الآن أصبحت هذه الوسائل تجمع بالآلاف

¹⁹ الراوي: سهل بن سعد الساعدي ، المحدث: ابن عبد البر المصدر: التمهيد الجزء 2 أو الصفحة: 218/2

من يسمع ، بالآلاف وهو يسمع ؛ يسمع للبدع بل ويرى كما جاء في
النقل المرئي ؛ فخطر جدًا مثل هؤلاء أن يبقوا في الوسائل ، وأن
يشاركوا فيها أبدًا.

إذا تَرَّزْنَا وقلنا لابد من دعوتهم ؛ فيكون على الخاص لمن يستطع أن
يحتاجهم بالكتاب والسنة ، أما من ليس عنده علم بالكتاب والسنة هذا
أمر ، ولا يكفي أن يكون عندك علم بالكتاب والسنة ؛ بل لابد أن يكون
عندك علم بما هم عليه من المخالفات لأنهم قد يشبهون عليك ؛
فلذلك إخراج مثل هؤلاء النسوة ، وعندي أمر آخر في رأسي ؛ قد لا
يكونون نسوة ؛ قد يكونون رجالا من المتشعبة يدخلون في المجموعات
ويكتبون أو يتكلمون كلامًا بصوت ؛ لأن الأجهزة الآن تستطيع أن تغير
الصوت ؛ تجعله صوت طفل ، تجعله صوت امرأة تجعلها هكذا ..

فلذلك لابد من البعد عن هذا وإخراجهم رأسًا ؛ فما فعلوه الأخوات
بإخراج المتشيعات فهو عين الصواب ؛ عين الصواب تمامًا ، هذا إذا
ثبت أنهم متشيعات ويجادلون ؛ ولكن من خلال السؤال أنهم يجادلون
في الصحابة وهذا فعل الشيعة والروافض .

فلذلك أحسنتم أيها الأخوات الفاضلات بإخراجهن من هذه
المجموعات ، فلذلك لابد من التمهيد ؛ هذه المجموعات خطيرة
جدا لابد من التمهيد ممن يدخل في المجموعات ، لا تدخل في
المجموعة إلا من تعرف أنه على السنة وإن كان عاصيًا ، وإن كان عنده
معاصي .

أما إن كان من أهل الشيعة ولو كان قارئًا ومتعلمًا ويقرأ القرآن وو إلى
آخره فابعده لا يدخل معك أبدًا ، وابعده أيها الأخوات الفاضلات .

هذا السؤال مهم جدا فلذلك فهذا رأيي والله أعلم وصلى الله وسلم
وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

